مركز براثا للدراسات والبحوث
Baratha Center for Studies and Research

مقالات

الأزمة السورية: جدال الرايات والشعارات

شادي علي

2024

www.barathacenter.com

الأزمة السورية: جدال الرايات والشعارات

شادي علي

الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

2024

مَركزُ بَراثا للدّراسَاتِ وَالبُحوثِ
بيروتَ - بَغدَادَ

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

الأزمة السورية: جدال الرايات والشعارات

شادي علي[1]

مقدمة: السياسة الإسلامية .. في المخيال الشعبوي

يتهم الفكر الإسلامي (أو الإسلاميين عمومًا) أنهم أصحاب مواقف انفعالية وبعيدين عن منهجية التخطيط والتفكير الاستراتيجي، وصدقًا فما يتم استدعاءه في الخطاب الإسلامي من قضايا في التراث الإسلامي تكرس في عقل المتلقي هذا الاتجاه (العاطفي الانفعالي) تجاه القضايا المصيرية، مثل حكاية «وا معتصماه» الشهيرة التي جُيّشت فيها الجيوش لأن امرأة مسلمة أهينت في الروم، أو حكاية «... لآتينك بجيش أوله عندك وآخره عندي» .. جميعها حكايات تستدعى لاستجرار أمجاد ماضي يغطى على مرارة الحاضر، لكنها تظهر المسلمين وكأنهم مجموعة من زعماء القبائل الذين يتم تحريكهم واستثارتهم بقضايا آنيّة وسطحية وبدائية. لكن واقع الأمر أن الصراعات (الإسلامية - الإسلامية) كانت تنبئ عن مواقف سياسية في التاريخ الإسلامي أعمق من المواقف الانفعالية والتكتيكية. والعمق في حالتنا هذه عمقٌ في الاتجاهين، عمقٌ في نوعية الفتن والشبهات، وعمقٌ كذلك في البصيرة التي تتصدى لها وتفنّد ضلالاتها.

1 - طالب بالحوزة الدينية – سكرتير تحرير مركز براثا للدراسات والبحوث.

أولاً: رايات الضِرار في التاريخ الإسلامي

مفهـوم «الرايـة» في التاريخ الإسـلامي يختلـف عن التعريـف الدارج والمشـهور بأنها «قطعة قماش ذات ألوان وصور لهـا دلالة»، ولكن «الراية» يمكن أن نعبّر عنها بالمصطلحات الحديثة بأنها «التوجه الاستراتيجي العام»، وعلى أسـاس هذا التعريف يمكن قراءة الروايات التي تتحدث عن: «رايات الهدى»، «رايات الحق»، «راية الخوارج» ... وغيرها، فيما أن «الشـعار» هو العلامة أو العبارة المختصرة التي ترمز إلى تحرك تكتيكي وموقف آني. وعلى أسـاس تعريفيّ «الراية» و«الشـعار» يمكن معرفة معنى «الضِرار»، وهو كل «شـعار» حق يراد بـه رفع «راية» باطـل. أو هو كما سـماه الإمام علي عليه السلام: «كلام حـقٍّ يُراد به باطل.»، وذلك عندما رفع الخوارج شـعار «إن الحكم إلا لله» وشعار «رفع المصاحف» وشعار الاحتكام للقرآن، لكن «الراية» والتوجه الاسـتراتيجي للخوارج كان نقض أهم تكليف إسلامي وهو الإمامة والقيادة السياسية للمجتمع باسم الإسلام.

ولم يخلُ عصر في التاريخ الإسـلامي إلا واسـتخدمت فيه "شـعارات" محقّةٌ لخدمـة أهداف و"رايات" ضـلال، بدءًا من واقعة «مسـجد الضرار» الـذي كان في الظاهر مشروعًـا دعويًّا لتوطيد أركان الإسـلام، لكنه كان في حقيقته وأهدافه البعيدة مشروع منافس لمسـجد قباء، وقد ذكر القرآن الكريم أوصـاف من بناه وأهدافهم: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً**

بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: 107].

ثــم في واقعةٍ أخــرى في إرهاصات "معركة صفين" رفع (معاوية) شــعار "القصــاص العادل من قتلة الخليفة الثالث" أو ما عُرف لاحقًا بـ"رفع قميص عثمان"، حيث ينقل الطبري: "لما بلغ معاوية بن أبي سفيان مكان علي (عليه السلام) بالنخيلة ومعسكره بها -ومعاوية بدمشق قد ألبس منبر دمشق قميص عثمان- وهو مخضب بالدم، وحول المنبر سبعون ألف شيخ يبكون حوله لا تجف دموعهم على عثمان - خطب معاوية أهل الشــام فقال: 'يا أهل الشام! قد كنتم تكذبوني في علي، وقد استبان لكم أمره، والله، ما قتل خليفتكم غيره، وهو أمر بقتله، وألب النــاس عليه، وآوى قتلته، وهم جنده وأنصاره وأعوانه، وقد خرج بهم قاصدا بلادكم وديياركم لإبادتكم ... يا أهل الشام! الله الله في عثــمان! فأنا ولي عثمان وأحق من طلب بدمه، وقد جعل الله لولي المظلوم سلطانا، فانصروا خليفتكم المظلوم؛ فقد صنع به القوم ما تعلمون، قتلوه ظلما وبغيا، وقد أمر الله بقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله. «وحاول الإمام علي تفويت الفرصة وتبيين الخدعة والمفارقة بين «الشعار» المحق والتوجه العــام الباطل، فقال: «... وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْــمانَ، فَادْخُلْ فِيما دَخَلَ فِيهِ النَّــاسُ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ، أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللهِ، وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ، وَالسَّلاَمُ لأَهْلِهِ.».

وعلى نفس المنوال تكررت فتن في التاريخ الإسلامي من كل شكل ولون:

- ففتنة "رفع المصاحف" كان "شعارها" الاحتكام لكتاب الله فيما "رايتها" كانت راية خوارج.
- وفتنة "فدك" كان شعارها "الحفاظ على أموال المسلمين العامة" ورايتها وهدفها الاستراتيجي هو اجهاض أي معارضة للحكم القرشي.
- فيما كان حراك الدولة العباسية شعاره "الرضا من آل محمد" ليغري الناس بتولية الإمام "المنصوص عليه" والمرضيُّ عند الله ورسوله، لكن التوجه الاستراتيجي و"الراية" كانت راية "مُلكٍ عضودٍ لبني العباس".

ولم تكن هذه الفتن ظاهرة شاذة عن السياق الاجتماعي والإنساني؛ لأن كل مجتمع لديه ثقافة تشكل هويته وتحدد سلوكه، وتحدد أيضًا لماذا وكيف تدار الصراعات فيه، وفي المجتمعات الإسلامية يمثّل الدين وتفسيره وخطابه قوة روحية واجتماعية تسعى كل الأطراف لتوظيفها لخدمة أهدافها أيًّا كانت، وبطبيعة الحال فإن الجماعات المنحرفة وذات المصالح المادية الضيّقة ستتمكن في بعض الأوقات من صياغة خطاب وشعارات تنجح -ولو جزئيًا- في عمل فتنة وزلزلة داخل المجتمع الإسلامي، ولعل هذا كان منشأ الروايات التي نُقلت عن النبي الأكرم ﷺ: "إنَّها ستَأتي على الناسِ سُنونٌ خَدَّاعَةٌ

يُصَـدَّقُ فيها الكاذبُ ويُكَذَّبُ فيها الصادقُ ويؤتمَنُ فيها الخائنُ ويُخَوَّنُ فيها الأمينُ ويَنطِقُ فيها الرُّوَيبِضَةُ .. قيل وما الرُّوَيبِضَةُ؟ .. قال السَّـفيهُ يتكَلَّمُ في أمرِ العامَّة.» وعنه ﷺ: «إنَّ اللهَ -تعالى- قال: لقد خلَقتُ خلقًا ألسنتُهُم أحلَى مِن العَسلِ، وقلوبُهُم أَمَرُّ من الصَّبرِ فَبِي حلَفتُ: لآتينَّهُم فتنةً تَدَعُ الحليمَ منهم حيرانَ ..».

وعلى أسـاس التفريق بين "الراية و "الشـعار" وبسـبب تكـرار لحظات الصِدام في التاريخ الإسـلامي بين "الرايات" و"الشعارات" ثارت في الفكر الإسلامي جدليات فلسفية وفقهية تعالج هذا التناقض، أو ما عرف بمباحث:

- «الظاهر» و«الباطن».
- «العام» و«الخاص».
- «الوسائل» و«المقاصد».

فقيل في كتب الفقه مثلاً: "يُغتفر في الوسائل ما لا يغتفر في المقاصد."، وقيل: "المصلحة العامـة مقدمة على المصلحة الخاصـة." ... وغيرها من القواعد الفقهية.

ثانياً: حروب الجيل الرابع: شـعارات إسلامية تحت رايات استكبارية

هذا ولازالت «شـعارات الضِرار» تمارس في وقتنا الحالي ولكن بمسمى

حديث هو «حروب الجيل الرابع»، فتقوم مراكز الدراسات الغربية المتخصصة بدراسة وهندسة «الثورات الملونة»[1] بنفس المبدأ: "شعارات برّاقة .. ضمن مشاريع توجهات ورايات استكبارية»، ولازالت ينخدع بهذه الشعارات البرّاقة بعض بسطاء العقول أو العوام ممن لا تسعفهم عقولهم على تذكر خبث الاستعمار الغربي على مدار القرنين الأخيرين، ولا تسعفهم وسائط الإعلام في التوعية بالخط الاستراتيجي العام الذي تساق فيه الجماهير «الثائرة» المطالبة بحقوقها الإنسانية الأساسية والتي ترفع شعارات محقّة.

في احتجاجات تشرين الأول 2019م في لبنان ثارت الناس بسبب الظروف المعيشية الصعبة، لكن وسائل الإعلام استطاعت أن تحرف هذا الغضب عن السياق الاستراتيجي الصحيح، والأسباب الصحيحة للأزمة: (اللاجئين بسبب الأزمة السورية، الحصار المالي، النظام المُحاصَصِي الطائفي، ..)، ثم قفزت على كل ذلك وأرادت أن توجه غضب الناس نحو مؤسسات الدولة وخلطت الصالح بالطالح فَسَاوَت بين (السيد حسن نصر الله) (رضوان الله عليه) وغيره من

1 - الثورات الملونة: هي تحركات شعبية تهندسها أجهزة الاستخبارات الغربية بناءا على معرفتها العميقة بالخلافات السياسية والاجتماعية والأزمات التي تسيطر على المجتمعات المستهدفة، وتستهدف "الثورات الملونة" عادةً الأنظمة السياسية المعادية للقيم الغربية. من خلال مجموعة من الخطوات التي تستهدف "تثوير" الطبقات الشعبية بشكل لا مركزي من خلال مجموعة من الشعارات المحقّة والتي تصب بالنهاية مع الأجندة السياسية للأنظمة الموجهة لها.

السياسيين اللبنانيين، وبين المقاومة وغيرها من "اللاعبين السياسيين"، وأرادت محاربة الجميع وإسقاط الجميع (كِلّن يعني كِلّن .. نصر الله واحد مِنُّنْ").

وفي العـراق لم يكن الأمـر مختلفًا كثيرًا؛ حيث كانـت في 2013م تغطى جرائم "داعش" بالقول أنها احتجاجات "ثوار العشـائر" وأن تمدد الحركات التكفيرية في غرب العراق ما هو إلا "صحوات إسـلامية"، ولكن غاب (أو تم تغييـب) حقائق عن الدعم المالي الخليجي والاختراق الاسـتخباري الغربي والدعم اللوجيستي والتسليح من دول الناتو، وعندما فشلت هذه الفتنة أطلت بوجه جديد عام 2019م، هو ما عُرف بـ"ثورة تشرين" العراقية، وبنفس المنهجية ارتفعت شـعارات برّاقة: "نريد وطن" وتشتكي من "الضيم" غياب الاستقلال والإرادة الوطنيـة، ولكـن لا تضع يدها على جذور المشـكلة الاسـتراتيجية للأزمة: (الدستور المُحاصَصِي الطائفي، والتواجد العسكري الأميركي الذي لازال يحتكر ثروات البلاد وقرارها السـياسي، والسـفارات الغربية الضخمة وفرقها النشطة في الهندسة الاجتماعية وهندسة الازمات، ...)، ثم قفزت على كل ذلك وأرادت أن توجه غضب الناس نحو سـلاح الفصائل الإسلامية التي تصدت للفتنة الأولى (فتنة "الصحوات الإسلامية"/داعش).

ثالثاً: الأزمة السورية .. ثورات ملونة أم احتجاجات شعبية؟

والأزمة السورية في 2024م ليسـت بعيدة عن جدال "الرايات والشعارات"

واختلاف "الوسائل" عن "المقاصد"، فبالمنظار الضيّق تصوّر الأزمة على أنها "ثورة شعب" له مطالب مشروعة في حياة أفضل، لكن هذه المطالب تقفز على الأسباب الحقيقية للأزمة: (حصار دولي، وعقوبات اقتصادية، ونفوذ استخباري، وتضليل إعلامي، ..) وتوجه أنظار الناس إلى التجاوزات والإخفاقات. أما بالمنظار الأوسع فما يدور في سوريا هو صراع إرادات دولية ومشاريع جيواستراتيجية كبرى، يعترف أحد أطراف الصراع بماهيته وحقيقته عندما يرسل حلفاء الدولة السورية المقاتلين والعتاد والمساعدات، فيما الطرف الآخر لا زال يردد "الشعارات" المُحِقّة في السياق الاستراتيجي العام للمشروع الغربي.

يهرب "ثوار سوريا" من مواجهة أنفسهم بحقيقة الأبعاد الاستراتيجية لحراكهم، فعندها سيقعون بين القبول بكونهم جزء من أطماع الإمبراطورية العثمانية التي تريد التمدد حتى كركوك والموصل وحلب، أو أنهم بيادق على رقعة الشطرنج الإقليمية تحركهم يد الاستخبارات الغربية لخنق غريمها الروسي ومنعه من المياه الدافئة في البحر المتوسط، أو قطع اتصال "الهلال الشيعي" من طهران إلى لبنان، فيصبح على حدود جنوب لبنان نظام سوري عميل شبيه بالنظام الذي يحاصر قطاع غزة.

الطرف "الشرقي" في الأزمة السورية مشروعه الاستراتيجي واضح، روسيا تطمح إلى نظام دولي متعدد الأقطاب، لا تحتكر فيه الحضارة الغربية الموانئ والمضائق البحرية ولا تحتكر انتاج القمح والطاقة، وتكون الشعوب أمام

مواردها وسيادتها على قرارها وأرضها على قدم المساواة، وترجم هذا الطموح الروسي المشروع إلى رؤية تمد أمنها القومي إلى سوريا، كذلك، لجبهة المقاومة مشروع أممي معلن، أوله تحرير المنطقة من التبعية والاحتلال الغربي المباشر ثم غير المباشر، وأوله إزالة "إسرائيل" (الغدة السرطانية) من الوجود. والطرف "الشرقي" لا يخجل من إعلانه أنه تجاوز السرديات "الوطنية" المزيفة التي زرعها الاستعمار بمعاهدة سايكس-بيكو ليتمكن من الاستفراد بالدول الإسلامية دولة وراء دولة.

بينما لا يمكن للمشروع الإخواني في سوريا أن يفصح عن رايته الحقيقة وأهدافه الاستراتيجية، ولا يستطيع أن يبرر أمام أتباعه لماذا يأتي مقاتلين من 70 جنسية عبر مطارات خاضعة لأقصى درجات الرقابة الأمنية -بمعايير «الناتو»- ثم تدفع لهم دول الخليج ميزانيات مليارية، فضلاً عن الدعم الإعلامي والسياسي والمعلوماتي الغربي، ثم يراد أن يصدق أن ما يجري هو "ثورة وطنية" ضد الاستبداد وحراكات "عفوية"! ربما كان الاضطرار الى اخفاء السياق الاستراتيجي الذي تتحرك فيه الجماعات الارهابية مردّه الخجل من التماهي مع أجندة الغرب المستعمر؛ ففي الخطاب الإخواني لا يتسق فيه الخطاب الوطني مع الاستعانة بجنود أجانب عن البلد، مسلحين وممولين من دول لا يذكر أحد أنها أرادت بالمسلمين خيراً وقدّمت مساعدات لوجه الله!

لا يستطيع (القرضاوي) أن يواجه نفسه كيف يمكنه -ومن على منبر

الجمعة!- أن يطلب من أمريكا أن "تغضب غضبة لله" ثم شكرها على تمويل وتسليح "ثوار سوريا"، ثم هو ينهى المقاومة الفلسطينية عن تنفيذ العمليات الاستشهادية في فلسطين المحتلة، ومن العجيب أن شعار "الغداء مع الرسول" (مصطلح يستخدمه التكفيريون للإشارة إلى ارتقاء الانتحاري إلى الجنة مباشرة) لا يكون من خلال إراقة الدم المسلم في إيران والعراق وسوريا ولبنان، ولم نسمع أن تكفيريًا قرر "الغداء مع الرسول" من خلال مقاومة الاستكبار أو عملاءه. أو من خلال تفجير نفسه في واحدة من القواعد الأميركية المنتشرة في الخليج أو على أحد الحواجز "الإسرائيلية".

ما يجري في سوريا منذ 2014م هو جزء من خطة "الشرق الأوسط الجديد"، شرق أوسط مفتت إلى دويلات وأقليات متناحرة أو ما يسمى "بلقنة العالم الإسلامي"[1]، في كتابه "رهينة بقبضة الخميني" يتحدث الصحفي

1 - البَلْقَنَةُ مصطلح ظهر في نهاية الحرب العالمية الأولى لوصف التجزُّؤ الإثني والسياسي لمنطقة البلقان نتيجة انحلال الدولة العثمانية. وقد أعيد استخدام المصطلح في الحديث على منطقة البلقان للمرة الثانية إبان الحروب اليوغسلافية في تسعينيات القرن 20م، والتي اتسمت بعنف وصل إلى حد التطهير العرقي. يستخدم هذا المصطلح اليوم للتعبير عن انشطار دولة ما تحوي إثنيات مختلفة، وسقوطها في الحرب الأهلية والتطهير العرقي، بشكل يشابه ما حدث في منطقة البلقان. كان الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات من بين أوائل من استعاروا مصطلح البلقنة في العالم العربي. (المصدر: الموسوعة البريطانية (بريتانيكا): «البلقنة».)

الأمـيركي (روبرت دريفـوس - Robert Dreyfuss) عن آراء (برنارد لويس - Bernard Lewis)[1]: "إن أخطر ما في (لويس) هي دعوته إلى بلقنة وتقسـيم ما يُعرف باسم 'قوس أزمة' (بريجنسكي)، طبقا لتقسيمات عرقية وقبلية ودينية وطائفية. وقد كانت، ولا عجب، تتم بمساعدة جهاز الاستخبارات الإسرائيلي ... وطبقا لآراء (برنارد لويس)، ينبغي على البريطانيين تشجيع حركات التمرد سعيًا إلى الاسـتقلال، التي تقوم بها الأقليات من أمثال المارونيين اللبنانيين والأكراد والأرمن والدروز والبلوشـيين، والأتراك الأذربيجانيين، والعلويين السوريين، وأقباط إثيوبيا، والفصائل الصوفية السودانية، وقبائل شبه الجزيرة العربية وغيرها. ويتمثل الهدف في تقسـيم الشرق الأوسط إلى ما يشبه رقعة الفسيفسـاء التي تضـم العديد من الدويلات المتنافسـة، وإضعاف سـلطة الجمهوريات والممالك القائمة."[2].

ولا تتورع أجهزة الاستخبارات الغربية بتغليف أهدافها الاستكبارية بغلاف إنساني حقوقي؛ في كتابهما "الإنسانية المتنازع عليها: حيث تخشى الملائكة أن تخطـو" يعدد المؤلفان (مايكل بارنـت - Michael Barnett) و (توماس

1 - (برنـارد لويـس) إضافة إلى خبرته كضابط اسـتخبارات بريطاني سـابق وعمله كمؤرّخ وأستاذ دراسات الشرق الأوسط، فحسب ما يروي في مذكراته عمل كمستشار لمجلـس العلاقات الخارجيـة الأميركية ومستشـارًا مباشرًا لكل من (ديك تشـيني) و (كونداليزا رايس) و (جورج بوش).

2 - روبرت دريفوس: رهينة بقبضة الخميني، ص116.

ويس - Thomas G. Weiss) الحالات التي "لا تعدّ ولا تحصى" من ارتباط المنظمات الإنسانية والمساعدات بمصالح القوى الإمبريالية؛ يقولان: "... أنّ المنظمات الإنسانية قد تمّ دمجها مع المؤسسات الأمنية والمنظمات العسكرية أكثر من أيّ وقت مضى، ويبدو أنّ حقوق الإنسان والإنسانية هي النسخة الجديدة من الهيمنة الغربية ..."[1].

في كتابه "من الدكتاتورية إلى الديموقراطية" ينظّر (جين شارب) لما يسميه "وسائل لشنّ الصراع" التي تنقل مستوى المواجهة مع أعداء أميركا إلى مستوى الصدام المادي، فبعد انتهاء مرحلة تسويق "عقيدة ريغان" بشأن الديموقراطية الأميركية، انتقلت مراكز التفكُّر إلى ما يسميه (جين شارب) "تقويض قوة العدوّ" من خلال تسليح "المنظمات غير الحكومية"، واكتسبت هذه المساعي الزخم اللازم بعد الانفاق عليها بسخاء من الأوقاف "الخيرية" التي يرعاها (جون ماكين) و(جوج سورس) و(بيل سميث) وغيرهم ... لاحقًا في 2003م ترجمت "الاستخبارات الأميركية" كتاب (جين شارب) إلى 35 لغة ونشرته بأكثر من 10 ملايين نسخة تم توزيعها على مستوى الكرة الأرضية تحت ستار مشروع "التأهيل والتمكين"، حمل هذه الأفكار الشاب الذكي والطموح (جيك سوليفان - Jake Sullivan) (والذي أصبح لاحقًا مستشارًا

1 - Michael Barnett; & Thomas G. Weiss: Humanitarianism Contested: Where Angels Fear to Tread (Global Institutions).

للأمن القومـي في البيت الأبيض) وهو يتحرك في سـوريا منذ العام 2007م ويلتقي "الناشـطين المدنيين" مـع التركيز بالذات على محافظات الشـمال السوري.

استطاعت الأجهزة الاستخبارية الأميركية إيجاد التناقض المناسب للنفوذ إلى نسيج المجتمع السوري؛ فتاريخيًّا يسيطر القلق على أبناء الطائفة العلوية لأن ذاكرتهم لازالت تعيش المآسي والأهوال التي واجهتها في سوريا وجبل عامـل على زمن العثمانيين، لـذا يفضّل أبناء الطائفة العلوية الانتسـاب إلى الجيش أو الأجهزة الأمنية، هذا، ولأن السنة في سوريا يمتلكون أكبر نصيب من الثروة ويسـيطرون على مفاصل الحركة الاقتصاديـة في البلاد ويتمتعون بمسـتويات تعليم مرتفعة، فقد خلقت هذه الهـوّة الاجتماعية والتناقض بين الحاكمين والمحكومين، وتاريخيًّا لأن النظام السوري لما أراد صياغة خطاب ديني للدولة يتّسق مع خطاب القومية العربية في ستينات القرن الماضي فقد عمِل عـلى ترويج الثقافة الأموية (بكل ما لها وما عليها)، فتمايز أهل السـنة في سوريا عن سائر أتباع المذاهب السنية في العالم الإسلامي بتمجيد وتبرير المنهج الأموي في الحكم مع كل ما اتسم به من برجماتية ووحشية وعصبية، وهـذا ما اصطبغت به خطاباتهم "الثورية" من بداية الأزمة، فلهذه الأسـباب وغيرها يعلم العلويون أن نزولهم عن مقاليد السـلطة سينتج لا محالة مذبحة فيهم تبدوا أمامها مذابح الأرمن نزهة ربيعية.

رابعاً: محور المقاومة مع الثورة المصرية وضد «الثورة السورية»؟!

هنا يبرز تساؤل منطقي، لماذا أعلن محور المقاومة على لسان (السيد الخامنئي) دعم الثورتين المصرية والتونسية، وأعلن على لسان شهيد الأمة الإسلامية (السيد حسن نصر الله) الاستعداد لتقديم كل الدعم للثوار المصريين، فيما محور المقاومة يجهر بالعداء لـ«الثورة السورية»؟!

والإجابة تصبح يسيرة بالتأسيس على المقدمات السابقة، أن الثورتين المصرية والتونسية كانت حراكًا ذا شعارات محقّة (العيش، الحرية، العدالة الاجتماعية) وفي سياق استراتيجي محق (التحرر من التبعية الأميركية والتخلص من النظام العميل للغرب، أما «الثورة السورية» كانت حراكًا ذا شعارات محقّة في مطالبته بالحرية والإصلاح، ولكن سرعان ما تم اختطافه وتوظيفه في السياق الاستراتيجي الغربي لاستهداف المشاريع المناوئة للاستكبار في غرب آسيا. في حالة الثورة المصرية كان النظام السياسي متجهًا من نظام سياسي علماني «موالي للغرب» إلى نظام سياسي علماني وطني «ذو علاقات نديّة ومتزنة»، فيما في الحالة السورية كانت «الثورة» تتجه بالنظام السياسي من نظام علماني وطني «مستقل سياسيًا وماليًا عن النظام العالمي ومكتفي ذاتيًا في استهلاكه ومعتز بهويته العربية والإسلامية» إلى نظام عميل للغرب بغلاف إسلاموي «غارق في التبعية السياسية من خلال النفوذ الثقافي والأمني والتبعية المالية من خلال القروض الدولية»! وهذا ما أمكن قراءته أولا

من خلال الخطاب المعلن لـ«الثورة السورية»، وثانيًا تاريخ الرموز المتصدرة للمشهد وآراءها المعروفة، وثالثا الدعم والتوجيه الخليجي والأميركي. فيما كان ذلك كل كان في الاتجاه المعاكس في الثورتين المصرية والتونسية.

سؤال آخر، لماذا يتحالف محور المقاومة مع «الإخوان المسلمين» في فلسطين بينما يحاربهم في اليمن وسوريا والبحرين؟

الاجابة هي نفسها: قد يتغاضى محور المقاومة عن «الشعارات» الملتبسة لدى حركة حماس: (أن التحالف مع إيران من باب الاضطرار لا من باب وحدة الهدف الإسلامي، أن القضية الفلسطينية قضية تحرر وطني لا مشروع إسلامي، ..) في مقابل استقامة حماس على مستوى الحراك الاستراتيجي في مشروع تحرير «غرب آسيا» من الاستعمار الغربي المباشر. فيما تنظيم «الإخوان المسلمين» في سائر البلدان المذكورة (عدا فلسطين) قد جمعوا السوأتين: الشعارات المنحرفة (الطائفية) والرايات المنحرفة (التماهي مع أجندة الاستكبار الغربي في تفتيت الأمة الإسلامية).

إن محور المقاومة عندما يتحرك تحت شعار "نصرة المستضعفين" يضع في أولويته المعارك التي تصب نتيجتها في المصالح العامة للأمة الإسلامية المقدمة على المصالح الخاصة الضيقة لأي فئة؛ فالمقاصد الكلية للدين الإسلامي مثل: رفع التفاوت بين طبقات المجتمع، عدم التبعية والتسليم بالنفوذ الأجنبي، مكافحة اكتناز الثروات في يد فئات من المجتمع، والتحرر

مــن الاســتعمار المباشر وغير المبــاشر جميعهــا أولويــة أولى مقدمة على المصالح الشخصية الخاصة وإن كانت محقّة. وهنا يظهر فارق آخر جوهري بين التيار الإســلامي الذي يفكّر بعقل اســتراتيجي إســلامي ويستهدف قيم كلية ســامية مثل نشر العــدل والتحرر من التبعية، وبين "تيارات الشــعارات الإســلامية" التــي تنحصر مظاهر الإســلام في فكرها في أمور شــكلية مثل: إطالة اللحى أو تسمية الضرائب "زكاة" وتسمية الشرطي "محتسب" أو إقامة الحدود مثل: قطع يد السارق وجَلْد الفاسق.

خامساً: الراية التركية تقود معسكر العمى الاستراتيجي

هنــاك عــدد كبير من ابنــاء «الإخوان المســلمين» يراهنون عــلى تركيا و يعتقدون أنهــا النموذج الأمثل للحكم، وأنها يمكــن أن تكون المنقذ للعالم الإسلامي، لكن تركيا ليست الإمبراطورية العثمانية ومنذ سقوط الإمبراطورية العثمانية انضمــت تركيا للغرب وأصبحــت دولة علمانية قلبًــا وقالبًا، تأخذ مســاعدات أمريكية مقابل تخليها عن الإسلام و اللغة العربية، ولأجل خدمة الناتو ضد الاتحاد السوفييتي / روسيا، وضد أي مشاريع استقلال في المنطقة العربية والمتوسط، وتركيا حتى هذا اليوم لا يمكنها أن تتخلى عن تعاونها مع الناتو و»إسرائيل» حتى لو ظاهريا؛ فالمشــاريع والمصالح المشــتركة بينهم أكبر بكثير من «الشعارات» التي يطلقها الرئيس التركي (اردوغان) ليستهلكها

المعجبون من الإخوان. ولو تأمل «الإخوان المسلمون» قليلاً لوجدوا شواهد ليس لها آخر عن العلاقة العضوية بين تركيا والمشروع الاستكباري الغربي:

- تركيا ثاني أكبر جيش في حلف الناتو وأكبر قوة برية ضمن الحلف، والجيش التركي جيش علماني لا هوية ولا دين له، و يعمل وفق مصالح العلمانيين في تركيا و(أردوغان) هو مجرد واجهة "إسلامية" هذه الفترة الممتدة لما يسمى الربيع العربي.
- تعاون تركيا العسكري مع «إسرائيل» تعاون راسخ وعميق ولم ينتهي بل توقف ليتماشى الوضع التركي مع ظروف سردية تدخل تركيا في الوطن العربي (لحشد المزيد من المقاتلين في سوريا و ليبيا الخ كوقود لتحقيق مزيد من الاهداف الخاصة بها وبالناتو) وسيستأنف التعاون مثلما هو معلن عن تحديث F - 4 فانتوم تركيا وطائرات F - 5 بتكلفة 900 مليون دولار وترقية 170 من دبابات M60A1 لتركيا 500 مليون دولار. وترقية صواريخ بوب - I وصواريخ بوباي - II إلى مدى 400 كم (250 ميلا) بالتعاون مع مجموعة دليلة "الإسرائيلية لإنتاج صواريخ كروز مقابل 150 مليون دولار. ومشروع تطوير صواريخ السهم المضاد للصواريخ الباليستية وتنص الاتفاقات العسكرية بين البلدين على تبادل الطيارين ثماني مرات في السنة؛ يسمح الطيارين "الإسرائيليين" لممارسات "طويلة المدى

والتحليق فوق التضاريس الجبلية" في نطاق تركيا (قونية)، في مقابل الترخيص للطيارين الأتراك بالتدرب في نطاق "إسرائيل"(1)، وفي نفس السياق أجرى البلدين مناورات بحرية مشتركة خلال عملية "ميرميد متكل" (شاركت بها الولايات المتحدة).

- تركيا سمحت لـ"إسرائيل" عدة مرات باستخدام أجواءها لضرب أهداف سورية مثل المفاعل النووي السوري.
- تركيا تقطع المياه عن العراق وعن سوريا وتسرق حصصهم المائية.
- شركة TAI التركية هي عبارة عن وكيل "شركة لوكهيدمارتن» وشركات السلاح الأمريكية في المنطقة.
- قاعدة «انجرليك» تحتوي على مئات القنابل النووية الامريكية على صواريخ باليستية موجهة إلى روسيا وإيران.
- عمق العلاقات بين تركيا و"اسرائيل" لا يتوقف فقط على التعاون الأمني والاستخباراتي المعلن، بل تسمح تركيا لحملة جوازات السفر الاسرائيلية من اليهود بالدخول إلى البلاد بدون قيود، والاستثمار والتجنس بالجنسية التركية كجنسية ثانية.
- بعد 30 عام من حكم "حزب العدالة والتنمية" ذو الشعارات

1 - https://www.nytimes.com/199928/08//world/quake-relief-shows-israel-feels-deeply-for-turkey.html

الإسلامية لازال المجتمع التركي يعاني من التهتك الأخلاقي حتى أن الإحصاءات الدولية تصنف تركيا في المرتبة الأولى عالميًا من حيث متوسط عدد "الشركاء الجنسيين" (متوسط 14.5 شريك جنسي لكل شخص بالغ طوال حياته)[1]، كما لازالت الدعارة "تجارة" معترف بها في قانون الدولة التركية[2].

- الاتراك وأردوغان لا يمكن الوثوق بهم و ما فعلوه ويفعلونه في سوريا بغطاء الصراع الطائفي يفعلونه في ليبيا. ونقضهم معاهدة (آستانة) مع روسيا وايران، وتسليح وتمويل الحركات الإرهابية في سوريا خاصة في وقت حساس مثل حرب روسيا في أوكرانيا وحرب محور المقاومة مع الكيان الصهيوني، يؤكد أنهم قومٌ لا عهد لهم ولا أيْمان.

تركيا دولة وجيش بدون هوية دينية واستخدامهم الدين الان هو من باب الدعاية ليتمكنوا من تجنيد الشباب المسلم كوقود ضد مصالح الدول العربية والشرقية (روسيا والصين)، وأطماعهم في الغاز في المتوسط بالشراكة مع "إسرائيل" حقيقية وليست نظرية مؤامرة.

1 - https://worldpopulationreview.com/country-rankings/average-number-of-sexual-partners-by-country

2 - https://foreignpolicy.com/201214/05//the-brothel-next-door/

يقول (أردوغان) في أحد تصريحاته التلفزيونية: "... إن تقدم الغرب مبني على الدم والدموع والإبادة الجماعية؛ وأن الحضارة الغربية ستنهار، ستزدهر حضارتنا الإلهية والإنسانية."، وشطْرُ كلامه الأول صحيح مائة في المائة، لا غُبار عليه، لكن وصف نفسه بـ "الحضارة الإلهية والإنسانية" إحدى أقبح الكذبات في التاريخ؛ فالدولة التي أبادت ملايين الأرمن، وتضطهد ملايين الأكراد، وتخنق العلويين، وتحتل أجزاء من العراق وسوريا، وتحتل ثلث قبرص، وتتآمر على جوارها لا يمكن أن تصنف بـ "الإلهية والإنسانية".

هل يمكن لنظام خَلَعَ جيشه 12 سلطانا من سلاطينه بعد أن أقسم لهم بالطاعة، وانقلب 5 مرات على حكوماته بعد أن أقسم على الولاء للدستور والقانون، هل يمكن أن يوصف بالإلهي والإنساني؟ هل يمكن لنظام أن يوصف بالإلهي والإنساني، وهو يسرق المعدات الصناعية من بلد مجاور؟ لا أظن أن عاقلا يجرؤ على التفكير في إدراج هذا النظام ضمن حقل البشرية، ليتجرأ لاحقا على التفكير بجعله من حقل الإنسانية فالإلهية.

خاتمة

إن الأولوية الأولى لكل مكونات الأمة الإسلامية يجب أن تكون قطع يد الاستكبار ونفي سبيل الكفار على المسلمين: ﴿**... وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾ [النساء: 141] وإن أول خطوة للوصول إلى هذا

الهـدف هو عمل تغيير داخـلي (ثقافي وعقائدي) جـذري ليكون المجتمع ونخبته قابلينْ لاستيعاب التغيير الخارجي (السياسي والاجتماعي): ﴿**... إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ...**﴾ [الرعد: 11]، أما الثورات المستوردة والفجائية والخارجة عن سياق التكامل المعنوي الذاتي فلا تحلّ قومها إلا دار البوار: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**﴾ [إبراهيم: 28].

لائحة المصادر والمراجع

- دريفوس، روبرت، رهينة بقبضــة الخميني، دار نيو بنجامين فرانكلين للنشر، نيويورك، 1980م.
- Michael Barnett; & Thomas G. Weiss: Humanitarianism Contested: Where Angels Fear to Tread (Global Institutions).

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

المشرف العام: الشيخ جلال الدين علي الصغير
مدير المركز د. محمد مرتضى
009613821638